نظرية الاستحالة .

تنكر هذه الفرقة أن النار كامنة فى العود ، وكيف تكمن فيه وهى أعظم منه ؟ ولا يجوز أن يكمن الكبير فى الصغير ؛ ولكن العود اذا احتك بالعود حمى العودان . وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يلى ذلك منهما ، فاذا احتدم رق ثم جف ثم التهب ، فانما النار هواء استحال .

والهواء فى أصل جوهره جسم رقيق خوار ، جيد القبول ، سريع الانقلاب ، فالنار التى نراها أكثر من الحطب انما هى ذلك الهواء المستحيل ، وانطفاؤها بطلان تلك الأعراض الحادثة للهواء ينقلب الهواء الى نار ، لأن طبعه قريب منها فالنار يابسة حارة ، والهواء رطب حار ، والماء رطب بارد . فالهواء وسط بين النار والماء يجمع بينهما ، وقد ينقلب كل منها الى مايقاربه . فيجوز أن ينقلب الهواء نارا ، وينقلب الهواء ماء ، ثم ينقلب الماء أرضا ، ولابد فى الانقلاب من الترتيب والتدريج .

البراهين على انكار الكمون :

نرى براهين هذه الفئة سلبية ، فهى تنكر الكمون باعتراضاتها على النظرية ، وإن كانت لاتتقدم بحجج تؤيد الاستحالة ، فترى المناظرة تنتقل الى تأييد الكمون وإنكاره . تقول هذه فى الانكار .

ان هذا الحر الذى رأيناه قد ظهر من الحطب ، لوكان كامنا فيه لكنا وجدناه بالمس كالجمر المتوقد ، فان قلتم كان يمنعه برد مكافىء كامن مثله — فأين ذلك البرد ؟

لايخلو الحال من أمرين : إما بقى بعد الاحراق ، وإما خرج عند الاحراق . فان كان باقيا فى الرماد استلزم ان يكون الرماد أبرد من الثلج ، وإن كان خرج مع الحر ، وأخذ كل وجهته — فقد كان ينبغى له أن يخمد ويهلك الاقاه ، كما أحرق الحر وأذاب كل مالاقاه ولما وجدنا جميع أقسام هذا الباب لم تتحقق ، علمنا أن النار لم تكن كامنة فى الحطب .

ونشعر بقيمة هذا الاعتراض ، إذا لاحظنا قول الفريق الأول فى أن النار تنفى المانع الذى هو البرد ، ولم يقل نفيه وتبطله — إذن فالبرد موجود عند الاحراق ، يقع عليه أحد الفروض السابقة .

بعد هذا أخذت كل فرقة تنتصر لنفسها بنقض قول خصيمتها وإنا نمسك عند هذا المقدار .

احمد احمد الشاجى

فى محكمة التاريخ

الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته ؟

— ٢ —

مناقشة المصادر

المصادر كما رأيت قسمان : قسم يبرىء الرجل مما نسب اليه ، وآخر لاأقول يتهمه بالغدر والمخامرة ، بل يلصق الخيانة به لصقا دون تحرز او تشكك ، ويمثل القسم الأول ابن الطقطقى وحده ، ويمثل الثانى ابو الفدا وابن الوردى والكتبى وابن خلدون ودحلان ، فهؤلاء متفقون فى الجوهر مختلفون فى الاعراض . والآن أحول شطر انتباهى نحو ابن الطقطقى لأنه اول من كتب عن الحادث ، ولأنه المؤرخ الأوحد الذى يحاول ان يبرىء ساحة الوزير من تلك التهمة الشنعاء ، فيقول بصراحة إن ابن العلقمى لم يخامر ، ويؤيد مدعاه باستبقاء هلاكو للوزير وتسليمه الأمر اليه بعد فتح بغداد ، الا ان مانعلمه من كلام ابن خلدون يدحض حجة ابن الطقطقى من حيث يؤيدها ، فابن خلدون يذكر كما يذكر ابن الطقطقى أن هلاكو استبقى الوزير فى دست الوزارة الا انه يزيد على ابن الطقطقى فيقول (والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج ، تصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه) (١) ثم لابن الطقطقى حجة أخرى فى براءة الوزير هى أنه يستبعد على هلاكو ان يبقى على الوزير فيما لو كان الوزير غدر باستاذه ، وهذا فى الحقيقة استنتاج ضعيف جدا ، يرده مايقع تحت ابصارنا اليوم من استعانة المستعمرين بطبقة خاصة من الناس يسمونهم عادة بالمعتدلين ، لكنهم فى الحقيقة الخونة الخارجون على مبادىء الأمم انتزاعة الى استقلالها واستغلال مواهب ابنائها . وماذا يضير هلاكو ان هو استبقى ابن العلقمى ؟ وهل بلغ هلاكو من سمو النفس ، وحب الصادقين والمخلصين تلك المنزلة التى تحوله ان يقتل من يحرج على هذه المبادىء ، حتى ولو كان الخروج فى مصلحة هلاكو ؟ فعدم قتل هلاكو لابن العلقمى لايؤخذ حجة على سلامة نيته فى دولة المستعصم ، بل على العكس من ذلك يمكن اعتباره كدليل على إدانة الرجل وعمالاته لاعداء الخلافة المتبرين . ثم

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٤٣٠

هناك أمر يسترعي الانتباه ، وهذا الأمر هو تصدى ابن الطقطقى لنفى التهمة ، وتصريحه بأن هنالك من يتهم الوزير بذلك . فهذا يؤيد المصادر الأخرى التى تقول بمخامرة الوزير ، ذلك لأنها لم تختلق هذه التهمة اختلاقا ، فقد ذكرها من تقدمها لكن وجهته سلبية ، وأعنى به ابن الطقطقى ، ولذا فانا أظن أن تعرض المؤرخ لنفى الاتهام له تفسيران إما أن يكون المؤرخ يعلم حقيقة أن هناك مخامرة ، فعمد إلى نفيها اضلالا لمن بعده ، أو أن شائعات قوية راجت عن خيانة الوزير إن صدقا وإن كذبا ، فتصدى صاحب الفخرى لدحضها وتكذيبها لغاية فى نفسه أو لغير غاية . وأنا أرجح أن تعرضه لهذا الموضوع كان سببا فى رواج تلك الشائعات . أما لأى الغايتين فلا أراني قادراً على تحديد ذلك ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية دعنا نسلم بأمانة ابن الطقطقى وحرصه على الحقيقة وتباعده عن التشيع !! ... الخ . ما هنالك الا أن كل هذا ينقصه أمر مهم فى النقد التاريخى ، ذلك الأمر هو أن ابن الطقطقى ينقل لنا عن الوزير ما قاله أو حدثه به ابن أخت الوزير ، وفى هذا كفاية لتقليل أهمية ما يرويه المؤرخ ، ولا سيما فى موضوع اتهامى له علاقته الشديدة بالشرف والشهامة ، وهذان يهمان ابن الأخت بقدر ما يهمان خاله ، فاى اعتبار بعد هذا يبقى لما يرويه ابن الطقطقى ؟ ؟ ؟

أما ما يقوله ابن الوردى فهو فى الحقيقة رد فعل لما يقوله ابن الطقطقى ، فهذا يشتد فى الدفاع عن الوزير ، وذاك يشتد فى اثبات الجريمة عليه ، وقد ذهب الغلو بابن الوردى مذهبا شططا خرج عن كياسة المؤرخ وحياده ، وأنسته العاطفة الجامحة وظيفته والموقف الذى يجب أن يقفه كل مؤرخ ، فنعت الرجل بالغوى ولعنه ، وبخل عليه بالترحم الذى يستمطر عادة على العصاة والمجرمين ، وقد ذكر أشياء لم يذكرها أحد ممن تقدمه ولا ممن تأخر عنه ، فمع أنه ينقل عن ابى الفدا ، فقد ذكر أموراً لم يذكرها أبو الفدا نفسه ، وأهم هذه الأمور نص هذه الرسالة التى يزعم أن ابن العلقمى أرسلها الى التتر وهى رسالة طويلة ، وقد جئت على ذكرها فانا أشك فى نص الرسالة ويلح على الشك حتى يميل بى الى الجحود والانكار ، وذلك لسببين : الأول انفراده بذكرها ، والثانى أسلوب الرسالة والكلفة البادية فى لهجتها ثم الجمع بين شعر من هنا وهناك لا رابطة بينه ، ولا سيما الابيات التى تجعل الاتراك (ويريد بهم المغول وهذا يدل على تدقيق المؤرخ !) طلاب ثأر آل محمد ، ثم أمره هلاكو أن يتأول أول النجم وإيصاءه هلاكو بالحرص الذى ليس له معنى فلا أدرى ماعسى الوزير يريد بحضه هلاكو على تأول النجم والحرص ، والذى يزيد فى غرابة هذه الرسالة هو استنهاض ابن العلقمى لهلاكو بذكر ما أصاب العترة العلوية والعصابة الهاشمية ، وماذا يفهم هلاكو من هذا ؟ فهو لم يكن شيعياً ليتأثر بهذه اللهجة الشيعية ، ولا نعلم حقاً هل أسلم هلاكو أم بقى على وثنيته ، فقصة موته ودفنه تؤيد أنه لم يسلم ، أو إذا كان أسلم فأن الاسلام لم ينفذ الى قرارة نفسه ، ولم يتأثر به التأثير الذى يعطف على الشيعة ويثير فيه عاطفة دينية تحفزه لمهاجمة بغداد ، ثم ان دحلان يصف التتر وصفا لا يطابق روح الرسالة التى يذكرها ابن الوردى ، فيقول دحلان (وكان ذهاب الخلافة بدخول التتر بغداد وهم قوم كفار خرجوا من الصين وتغلبوا على ممالك الاسلام وكانوا يقتلون الرجال والنساء والصبيان ، ويأكلون كل شىء حتى الكلاب والحشرات ، ولا يعرفون نكاحا ولا يحرمون شيئا ، وكان ابتداء خروجهم فى أول القرن السابع ، وظهر امرهم فى سنة سبع عشرة وستمائة على الامصار والمدائن والقرى ، الى ان استولوا على بغداد وازالوا خلافة بنى العباس ، (١) فهل نرى بعد هذا ان فى كتاب ابن العلقمى المزعوم مايلائم طبائع قوم كهؤلاء ، وهل فيه ما يستثير حماسهم ؟ انى لا أرى شيئا من ذلك ، فلو جاء فى الكتاب مايتفق مع عقلية اولئك البرابرة كذكر غنى المملكة ، وسهولة افتحامها والى ما هنالك من مغريات ، لكان فى ذلك مايدفعنا الى الترجيح بأن هذا النص الذى يورده ابن الوردى قد يكون النص الحقيق لكتاب الوزير الى هلاكو ان صح ان الوزير ارسل كتابا ، اما وفحواه ما عرفنا فانا استبعد جدا ان يكون هذا النص صحيحا . ثم هنالك اختلاف بين المصادر بشأن شخصية الرسول وكيفية الارسال ، فابن الوردى يقول بأن الوزير ارسل أخاه ، وصاحب الفوات يذكر ان الوزير (تحيل الى ان اخذ رجلا وحلق رأسه حلقا بليغا وكتب ماراد عليه و ...) (٢) ، أما ابن خلدون فيذكر وصية أوصاها الوزير لصديقه ابن الصلايا صاحب اربل ، ليستحث التتر على المسير الى بغداد ، وهذا معقول جدا ، وليس فيه ما يدعو الى التشدد فى عدم احتماله أو تصديقه ، ولا سيما ونحن نعلم ان ابن العلقمى لم يكن راضيا عن الدولة التى استبد بأمورها الدوادار ذلك السنى المتشدد فى سنيته ، والحق اننى مستريح لما يذكره ابن خلدون لأنه منطقى يستسيغ العقل قبوله ، ولأن الرجل لم يظهر أقل تحيز أو ميل

(١) فصول الاسلامية ص ٥٢٠

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٣

وكذا أبو الفدا فقد ألفيته فيما كتبه شريفا مترفعا عن الهوى وليس هذا بالكثير على ذلك الملك المؤرخ. اما دحلان فيريد ان يقول لنا ان لمجيء التتر اسبابا كثيرة، من اعظمها رسالة الوزير لهلاكو ولكن ما يؤسف له انه لا يذكر سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة. أما أنا فلا أعتقد أن وصية الوزير ان ثبتت هي التي جاءت بالتتر وحدها، وانما قد تكون عاملا قويا في تسهيل الاغارة على بغداد، وآسف أني لا أعرف الكافي عن تاريخ التتر ليتسنى لي تعداد بعض الاسباب التي حفزتهم لشن غارتهم الشعواء، واخيرا وبناء على ضعف حجة وكيل الدفاع ابن الطقطقي وتكاتف بقية المصادر على ادانة الوزير — أراني مضطراً اضطراراً عليا سليما من الغاية، وبعيداً عن الهوى، ومبنياً على ما أوصلني اليه استقصائي أن أرجح غدر الوزير بدولته وخليفته متبعا في ذلك ابن خلدون بأن ذلك وقع على يد ابن الصلايا الذي يظهر أنه اتصل بالتتر فحسن لهم مهاجمة بغداد بشتى الطرق، وذلك بعد أن ضاق الوزير ذرعا بالدوادار وولي العهد واشياعهما السنيين وبعد أن قامت الشيعة نكبات وويلات وفضائح في العرض وخسائر في المال أخرجت الوزير عن تعقله، وجعلته يتناسى كل شيء في سبيل الانتقام أولا وانقاذ الشيعيين ثانيا، فلم يجد امامه أوفق من الاستعانة بالمغول الذين لم تكن بغداد غريبة عن الاستعانة بهم، فقد سبق للخليفة العباسي أن استعان بجنكيز خان على شاه خوارزم، وقد أصاب بغداد من جراء استغاثة الوزير بهلاكو ما أصاب المشرق وبخارى يوم استعان الخليفة بجنكيز على الشاه.

فرحان شبيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

قراءة الأفكار وعلوم نفسية
تحضير الرغبات، السحر، العلاج النفسي، المثل الأثير، بناء الشخصية والاعلان الى ثمنه ٥ قروش
ملكات العقل الباطن
النبوغ، التنويم المغنطيسي، الايحاء، التحليل التركيبي الاختبار، الخلود، اليقظة السريعة الى ثمنه ٥ قروش
يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم رجيوس المحامي بشارع البرعة البولاقية رقم ١٥٦ بالمنيرة بمصر

٣ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ٦ —

لابن قلاقس ديوان شعر يحدثك جامعه أول ما يحدثك أن هذا الشعر ليس كل شعر ابن قلاقس، لأنه حذف منه ما لا يليق بهذا الشاعر من غث القول وسخيفه، وهي فكرة خاطئة تضر بتاريخ، ولا تفيده؛ إذ من الخير لنا أن نرى جميع مظاهر التفكير للشاعر، سواء أكانت جيدة أم غير جيدة، غير أننا اليوم وقد ذهب ذلك الشعر الضعيف، ليس لنا إلا أن نتحدث عن هذا الشعر الذي بين أيدينا، وأهم ما يميزه خصائص ثلاث: أولها الغرابة في كثير من الأحيان، تلك الغرابة التي تستدعي منك مزيد العناية والاهتمام، فأنت إذ تقرأ شعره لا تقرأه مارا عليه أو مسرعاً في تلاوته، ولكنك تقرأ محترساً منتبها، موجهاً كل همك إلى تفهم ما يريده، وفهم ما يقصده؛ ولست أدعي أن ذلك محمدة في الشعر، أو فضيلة بها يمتاز، ولكنني أزعم أن الذي أوقع شاعرنا فيها هو غرامه الذي لا حد له بالمحسنات اللفظية والجمال البديعي، مما يدعوك إلى أن تقرأ القصيدة مرة ومرة حتى تفهمها، وتدرك سر معناها، على أنه لم يكن في كل شعره كذلك، بل هو في كثير من الأحيان يترقرق عذوبة، ويسيل لينا ولطفا، واستمع اليه يقول:

كان الشباب الغض ليـ ـلا فاستنار الشيب فجرا
ولئن تقلب بي الزما ن كما اشتهى: بطنا وظهرا
فيما قتلت صروفه وقتله جلداً وخبرا
غاض الوفاء، وفاض ما الغدر أنهاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى عرفا، ولست تراه نكرا
خلق جرى من آدم في نسله: وهلم جرا
ومروعي بالبحر يحـ ـسب أنني أرتاع بحسرا
أو مادري أني بتسـ ـهيل المصاعب منه أدرى ؟!

ثاني الخصائص التضمين والاقتباس، وهما إن دلا فانما يدلان على ثقافة واسعة، واطلاع على الشعر عظيم، وشاعرنا قد أخذ كثيراً من معاني السابقين وصاغها في شعره، فاذا أنت سمعت قوله:

والماء يكسب ماجرى طيبا ويخبث ما استقرا